يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ومنهم من يسبق في التقريظ دون التابين ومنهم من يجود في التابين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الابل او الخيل او سير الليل او وصف الحرب او وصف الروض او وصف الخمر او الغزل او غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وبزهير اذا رغب ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر اجناس الكلام ومتى تاملت شعر الشاعر البليغ رايت التفاوت في شعره على حسب الاحوال التي يتصرف فيها فياتي بالغاية في البراعة في معنى فاذا جا الى غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم لانه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم فاذا كان الاختلال بينا في شعرهم لاختلاف ما يتصرفون فيه * واستغنينا عن ذكر من هو دونهم وكذلك يستغني به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسايل ونحوها ثم نجد في الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد اصلا ومنهم من ينظم القصيد ولكن يقصر فيه مهما تكلفه او عمله ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فاذا اتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ومنهم من يوجد بضد ذلك وقد تاملنا نظم القران فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التاليف والرصف لا تفاوت فيها ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا اسفاف فيه الى الرتبة الدنيا وكذلك قد تاملنا ما يتصرف اليه وجوه الخطاب من الايات الطويلة والقصيرة فراينا الاعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف وكذلك قد تتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة * فرايناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة فعلمنا بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر لان الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الاسباب التي يتضمن ومعنى رابع وهو ان كلام الفصحا يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم اليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع الا ترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه حتى ان اهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب الى المديح واطبقوا على انه لا يحسنه ولا ياتي فيه بشي وانما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى

ويتفق

ويتفق يستحسن وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شي الى شي والتحول من باب الى باب ونحن نفصل بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين ان القران على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب والمتنافر في الافراد الى حد الاحاد وهذا امر عجيب تتبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف ومعنى خامس وهو ان نظم القران وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الانس والجن فهم يعجزون عن الاتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا وقد قال الله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان قيل هذه دعوى منكم وذلك انه لا سبيل لنا الى ان نعلم عجز الجن عن مثله وقد يجوز ان يكونوا قادرين على الاتيان بمثله وان كنا عاجزين كما انهم قد يقدرون على امور لطيفة واسباب غامضة دقيقة لا نقدر نحن عليها ولا سبيل لنا للطفها اليها واذا كان كذلك لم يكن الى علم ما ادعيتم سبيل قيل قد يمكن ان نعرف ذلك بخبر الله عز وجل وقد يمكن ان يقال ان هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر ويحكون عنهم من الكلام وقد علمنا ان ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم والقدر الذي نقلوه قد تاملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقصر عنها ولا يمتنع ان يسمع الناس كلامهم ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الانبياء صلوات الله عليهم وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات على ان القوم الى الان يعتقدون مخاطبة الغيلان ولهم اشعار محفوظة مروية في دواوينهم قال تابط شرا

وادهم قد جبت جلبابه ... كما اجتابت الكاعب الخيعلا
الى ان حدا الصبح اثناءه ... ومزق جلبابه الاليلا
على شيم نار تنورتها ... فبت لها مدبرا مقبلا
فاصبحت والغول لي جارة ... فيا جارتا انت ما اهولا
وطالبتها بضعها فالتوت ... بوجه تهول واستغولا
فمن سال اين ثوت جارتي ... فان لها باللوى منزلا
وكنت اذا ما هممت اعتزمت ... واحر اذا قلت ان افعلا

وقال اخر

عشوا ناري فقلت منون انتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم ... زعيم يحسد الانس الطعاما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)